محمد بركة

الفضيحة الإيطالية

رواية

مطبوعات الظبية



نفرو للنشر والتوزيع

٢٠٠٥

الفضيحة الإيطالية

نفرو للنشر والتوزيع

الإشراف العام:
محمد الحسينى

المراسلات:
٢١ ش الصناديلى بالجيزة
٦ ش ولى العهد بحدائق القبة
الدور الخامس – شقة ٥٠٤
تليفون: ٥٧١٢٦١٨
٤٨٦٢٠٣٣
موبايل: ٠١٠٢٣١٣٥٧٩

الموقع الإلكترونى:
www.dar-nevro.i8.com
البريد الإلكترونى:
dar_nevro@hotmail.com

جمهورية مصر العربية

مطبوعات الظبية

اسم الكتاب: الفضيحة الإيطالية

اسم المؤلف: محمد بركة

رقم الإيداع
٢٠٠٥ / ٨٧٨٨

تصميم الغلاف: كامل جرافيك

جمع إلكترونى: حسام الدين سعد الدين

الطبعة الأولى
٢٠٠٥

الظلال

الظلالُ التي تلاشت من أمامي
ذَرَتْ الريحُ بقاياها

حَملتُ ما تبقى من نبتة الظلال تلك
وسرتُ بإِتجاه الشمس.

يحدث هذا لليوم الثالث على التوالي..

أمد خطوة ثقيلة وأنا أعبر إشارة المرور وسط أمواج هائجة لبشـــر لفحت وجوههم شموس أفريقية وحفرت قسوتها في نن العين مدينة الصهد والزحام والأكجسين الأسود.

نظرة شاردة تفلت مني عبر الفضاء المخنوق بغيمة تلوث.

يرتجف شئ ما بداخلي.

أنـــه انعكـــاس الضـــوء ساعة العصاري على واجهة بناية شـــيدها حفاة جائعون على الطراز الفرنسي قبل ١٥٠ عاماً حيـــن أراد الخديـــوي إسماعيل أن يجعل القاهرة نسخة من باريس.

البناية صفراء.

الضـــوء ســـبيكة ذهبية تغمر رؤوس الحيوانات المثبتة في زوايا الجدران.

فـــي هـــذه اللحظة بالذات أتوقف عن السير وأشعر بجفاف خفيف في الحلق.

لقـــد تذكـــرت وجهـــاً إيطالياً أضاء قبل عامين سرداباً سرياً داخـــل روحـــي بـــنفس هذه الدرجة الاستثنائية من الكثافة والحنو..

1

لماذا لم تحبني القاهرة ؟

أتســاءل يومياً وأنا أتأهب للعودة إلى البيت كما يعود القاتل إلى مكان الجريمة.

أغــادر صــالة الــتحرير بخطوات بطيئة مثل "روبوت" قديم وأفكار تتطاير مثل وطاويط فقدت رادارها الطبيعي.

أنشــط فجــأة حيــن أدلــف إلى المقبرة الكهربية المسماة أسانسير.

أجدها خالية.

أعــرف أنه يمكنني الآن أن أمارس بعض حركات الأكروبات مســتنداً على القوائم الحديدية داخل الحيز المعدني الضيق، وقــبل أن يشير الضوء الأحمر إلى حرف G وينفتح الباب، أكــون قــد اعتدلت وارتديت القناع المناسب لاستقبال العالم الخارجــي، أوقع في جدول الانصراف دون أن أعرف كيف احتملت الحياة في هذه المؤسسة ٦ ساعات، أرد بوقار يليق بكرافــتة ماركــة "أرمانــي" علــى تحية موظفي الأمن وهم يودعونني أمام البوابة الإليكترونية.

أول مـــن يصـــافح عيني بيه محترم انحنى على جدار مســـرح الجلاء وتطفح ملامحة بالسعادة والخلاص وهو يفك زنقــته فـــي نفــس الموضع الذي تحول بمرور الوقت إلى "مبولة" لعابري السبيل في منطقة "الإسعاف".

إنها ميزة أساسية ينفرد بها هذا المسرح وتتجاهلها إعلانات التلـــيفزيون حيـــن تشير إلى عروضه بعبارة: "على مسرح الجلاء، مكيف الهواء".

أُسرع باتجاه محطة المترو هرباً من فيض الروائح العطرة.

الموظف في شباك التذاكر يرمق باحترام كارنيه النقابة التي انتمـــي إلـــيها رسمياً منذ ٣ سنوات ولم أدخل مبناها الفخم الـــذي أنشـــأته القوات المسلحة سوى مرة واحدة مضطراً، يـــبدو الموظـــف كمـــا لو كان يلوم نفسه على اللهجة غير الـــودودة التي طلب بها الإطلاع على الكارنيه قبل أن يقطع لي "نصف تذكرة".

صـــوت متثاءب يتصاعد في أرجاء المكان: حضرات السادة الـــركاب.. القطار المتجه إلى خط حلوان هو الأخير، وعلى السادة موظفي التذاكر مراعاة ذلك.

الركاب المتحفزون على الرصيف لا يبدو أنهم في حاجة إلى

مــثل هــذا التنبيه، يتأخر القطار ويمتلئ الرصيف بالمزيد، لكنــي اعــتدت على فكرة البحث عن موطئ قدم وسط كتلة اللحــم التــي تطبق على أنفاس القطار المسكين في رحلته الأخيرة. أحاول عبثاً منع الأقدام من أن تدوس حذائي.

لا أحد يعتذر.

رائحــة العرق المعتقة تزكم أنفي، لا أحد يبدو مشغولاً بذلك غــيري. العــيون من حولي تعطي نفس التعبير الذي تعطيه عيون سمك ميت.

رغــم كل شئ ثمة سنتيمترات شحيحة تشكل فجوات فاصلة بيــن رجــال يــباهون الأمم بكروشهم ونساء يخفين تهدل صــدورهن. في هذه السنتميترات ينبثق فجأة بصوته الهادر الــذي لا يتناســب مع ضآلة جسده: إقرأ معجزات الرسول ياكابتن!.. وهبة الكتاب جنيه يا باشا.. ٥٠ معجزة يامدام.. المعجزة الواحدة بقرشين يابيه!

ويــترك في يد كل راكب نسخة من كتيب مرسوم على غلافه الملــون جذع شجرة يبكي. يختفي الولد البائع في الزحام ثم يظهــر مرة أخرى يلم الكتب بنفس السرعة والحماس الذي وزعهــا به. لا يبدو متأثراً برد فعل الركاب السلبي، فلا أحد

اشترى أو على الأقل تصفح الكتيب من باب الفضول.

هـل دار بخلـد الفرنسيين وهم ينشئون مشروع مترو الأنفـاق في مصر أن يلاقي هذا المصير الرائع بعد سنواته قليلة من إنجازه: اللافتات التي تضم أسماء لمحطات تمزقت والـبطانة الجلديـة فـي الأبـواب تآكلـت بفعل الأمواس والمطـاوي. العُقـد النفسـية التـي يعانـيها طلبة الثانوي والمعـاهد الخاصة ظهرت - طبقاً للتقليد المصري القديم - علـى المقـاعد من خلال فنون الشخبطة والتشويه، لا لشئ سوى أن هذا المترو "بتاع الحكومة" وبالتالي فلابد أن يُعامل معاملة خاصة تليق بالمقام!

الفرنسـيون علـى أيـة حال أناس طيبون، يحبون الفنون ويغرمون بالتاريخ، لكن مشكلتهم أنهم يصدقون سريعاً كلام المسـئولين، في بلاد العالم الثالث، قيل لهم: الفراعنة بنوا الأهـرامات وأنـتم ستبنون مترو الأنفاق فأخذوا الموضوع علـى محمـل الجـد واقترحوا أن تضم المحطات الرئيسية نماذج لتماثيل متنوعة تمثل الحضارة المصرية القديمة، ولم يـدر بخلدهم أن التماثيل سيغطيها التراب وستأكلها الأملاح والـرطوبة ولن يفرق الركاب بعد فترة وجيزة بين صناديقها

الزجاجية وبين عساكر الأمن المركزي المنتشرين على أرصفة المحطة بزيهم الأسود.

باعة البرتقال في جلبابهم الصعيدي يحاصرونني ببضاعتهم الرخيصة فور خروجي من المحطة. أتوقف فقط عند محل مخبوزات لأشتري منه بيتزا -أعرف أنها رديئة- بالجبنة والطماطم.

أستدير في طريقي للبيت وأنا أتهادى بمحاذاة السور الشاهق لسجن "طرة" بلونه الطوبي. أتجنب النظر إلى الجندي الواقف بزيه الكاكي في برج المراقبة، لم أخبركم أنني أسكن في العمارة الوحيدة في العالم التي تقف في شرفتها فترى واحداً من أقدم أنهار الدنيا أمامك والمساجين يؤدون طابور الصباح خلفك، وإلى وزارة الداخلية يعود الفضل في هذه اللفتة السياحية، فقد وعدت بنقل السجن أثناء البدء في بناء عمارات الشرطة – أو "مساكن الضباط" على حد تعبير الأهالي – وحين اكتمل البناء وسُكنت الشقق، بقى الحال كما هو عليه!

إحساسي بالانتماء إلى شئ ما لا يتجاوز عدة ثوان هي المدة اللازمة لإغلاق باب مدخل العمارة خلفي وأنا متجه

إلى الأسانسير. أفعل هذا يومياً بهدوء وحرص فور عبوري أسفل قوس اللمبات الصغيرة المطلية بالأخضر، والتي تضئ وتنطفــئ فــي سلك حلزوني يتوج الباب "الألوميتال". هناك أكــثر من ٤٠ عائلة موزعة على ١٦ طابقاً يغط أغلبها في نــوم عميق الآن. صلة ما تربطني بهؤلاء الطيبين النائمين، فــأغلق الــباب جــيداً في وجه الكلاب الضالة حرصاً على ســلامة بشــر لا أرى أحــداً منهم في الليل أو النهار رغم مرور عامين على سكني – بنظام الإيجار الجديد – في هذه الأبــراج التي تطل مباشرة على النيل. وإذا حدث وكان باب أحــد الشــقق المقابلة مفتوحاً أثناء خروجي من شقتي يُرد فــوراً فــي وجهــي. أما إذا حكمت الظروف وجمعنا القدر لحظــة انــتظار الأسانسير فيتركونني مهما كانوا مستعجلين لأركــب بمفــردي مفضلين الانتظار بأطفالهم وحقائبهم على الركوب معي.

فأنا في النهاية واحد أعزب.

أي أننــي أمثل خطراً على الأمن الاجتماعي العام، خصوصاً حيــن يســكن هــذا الأعــزب وسط الأسر المحترمة حاملاً فيروس الانحلال ومهدداً عفة بنات الحسب والأصول.

وكم خدعتنا أفلام الستينيات..

ظلـــت تلـــح علـــى صورة العازب الوسيم القادم من الريف للعاصـــمة ليضـــبط إيقاعها الأنثوي بغمزة واحدة من عينه اليســـرى حتى صدقنا، وحين وصلنا لم نجد صاحبة شقة من نوعـــية "زينات صدقي" تفرش لنا الأرض ورداً ورملاً، وإنما وجدنا مُلاكاً يسرقون الكحل من العين..

2

لا أشــك مــثقال ذرة أن عــيونهم خالية الآن من أي تعبــير، وأن هيئتهم وهم متحلقون حول التلفزيون تشبه إلى حد ما حيتان صغيرة طيبة لفظت أنفاسها على الشاطئ.

تلك حال الناس في بلادي حين يهل الشهر الفضيل.

تنقضــى "ساعة ربك" وألسنتهم تلهج بذكر علام الغيوب هم الصــائمون عــن الطعــام والشراب وممارسة الحب. وفي الدقــائق القلــيلة التــي تسبق آذان المغرب يحترمون الحق المقــدس لسائق الميكروباص في السب بالدين بسبب انسداد شرايين الطريق.

أمــا "ساعة قلبك" فيقضونها في نسف ما لذ وطاب ثم السفر عبر أثير برامج المتعة والفرفشة بعد الإفطار.

ذهبــت إلى ذلك المركز الثقافي الأجنبي لمشاهدة فيلم أوربي هــرباً من الحصار الأمريكي لجميع دور العرض السينمائي، فلم أجد غير لسعة خفيفة في تلك الليلة الرمضانية الباردة.

عند المدخل المعتم قليلاً مكتب لا يجلس عليه أحد.

ترددت في الدخول.

- أي خدمة ؟

السـؤال لـه نفس نبرة الاستعلاء والإحساس بالتفرد التي تميز العاملين المصريين في المراكز والسفارات الأجنبية بحي الزمالك حين يتعاملون مع مصريين مثلهم. الجديد هذه المرة أن الموظف كان مشمراً عن ساقية وذراعية وقطرات - من أثر الوضوء لابد - تتساقط من شعره المبتل. تعلقت عيناي لا إرادياً بشبشب بلاستيك ماركة "زنوبة" يرتديه سعادة الباشا ويطرقع به على البلاط اللامع المصقول.

- أي خدمة يا أستاذ ؟

لم تعد النبرة متعالية فقط، بل غير ودودة أيضاً.

أردت أن أنصحه - مخلصاً - بأن يسوي شعر حاجبه الكثيف المنكوش فهو في النهاية "واجهة" مركز ثقافي لدولة أقل ما توصف به أنها كعبةالموضة وقِبلة الحساسية والجمال.

لم أجرؤ.

أحسست أنني متطفل على جنة هدوءه، كأن الرجل في منزله وجئت أنا فجأة أقتحم خلوته، تكلمت أخيراً وشعور حقيقي بالذنب بدأ يتلبسني.

رد بحسم

- فوت علينا بعد ساعة
- لكن الميعاد الساعة ٦
- الميعاد ٧
- مكتوب في الجدول أنه ٦
- هـــذه المواعـــيد خاصـــة بايـــأم الإفطار، نحن الآن في رمضان، نتأخر ساعة عن الأيام العادية.

أضاف بفخر:

- أنا المسئول عن اعداد الجدول.

بالطـــبع لـــم أسأله: ولماذا لم ينوه حضرته بذلك في الجدول الشهري الخاص بأنشطة المركز.

فـــي هـــذه اللحظـــة فقط انتبهت إلى وجودها: الجميلة ذات الشـــعر الأحمـــر، وعلى الفور انبثق نفس الإحساس القديم المـــراوغ الـــذي يراودنـــي كلما ألقت الصدفة ببنت أوربية – حساسة ومختلفة فيما يبدو – في طريقي.

لا.. ليســـت اللهفـــة الشرقيـــة الذكوريـــة المعتادة ولا وهم الرغـــبة –من خلال النوم مع أوربيات– في استعادة فتوحات العرب القديمة لأوربا حين هددت جيوش البدو فرنسا ودقت

جحافلهم أسوار النمسا.

ولا حـــتى مجرد الرغبة الفضولية المشروعة في الاكتشاف والتواصل.

فقط أسى غامض يترقرق شفافاً داخل نقطة بعيدة بأعماقي..

فـــي تلـــك الليلة، كان الشعور بالأسى مضاعفاً، ولا أعرف لماذا، كان شعرها الأحمر القصير ناعماً نعومة تستفز تلقائياً حاســـة اللمـــس لديك فتفرك أطراف أناملك بشكل غريزي، كانـــت تجلس ساقاً على ساق، ومع ذلك فإن لكبرياء قوامها الممشـــوق حضـــور طـــاغ لا يبدو منسجماً تماماً مع نعومة ملامـــح الوجه التي خطها الرحمن بمزاج رائق على صفحة بشـــرة تقـــع في المنطقة الفريدة بين شُقرة فتاة أسكندنافية وحمرة خد امرأة أوكرانية.

كان الأسى قبضة من حنان.

إحساس باهظ بأن حزناً مطموراً داخل هاتيك المآقى الأجنبية يخصني.

أعرفه تماماً.

هي بنت الشمال.

وأنا ابن الجنوب.

ومـــا بيننا ليس عواصف وأعاصير مظلمة تفصل بين ضفتي المتوســـط، بل ١٤٠٠ عاماً من سوء الفهم المتبادل، تحديداً مـــنذ أن شق رجل في الأربعين يرعى الغنم جبهة الصحراء بسيف من نور، فتنفس عبيد الجزيرة العربية هواء الحرية.

صاروا سادة يرفلون في ثياب بيض.

وجرت في النهر سنوات كثيرة...

أصبحوا محاربين أشداء تسد قواتهم عين الشمس، وتتلاقى أرواحهـــم علـــى فكرة واحدة ألفت بين قلوبهم. قدموا للعالم عرضاً: إما الإسلام أو الجزية أو الحرب.

ملـــك البلاد التي ستنتمي إليها حبيبتي في الألفية الثالثة كان رده حاسماً على هذا العرض: الحرب!

3

كنـــت قد قلت للموظف أنه لابد أن هناك شئ ما يمكن أن أشـــاهدة وأتســلى بـــه حتى يحين موعد الفيلم، لمح في كلامـــي إصـــراراً مفاجـــئاً: استســـلم قائلاً أن قاعة السينما – على أية حال – مفتوحة وأنني يمكنني الانتظار فيها.

لم انتظر.

ظللـــت أتسكع في الردهات، أتوقف أمام "بوسترات" الحفلات الموسيقية بدار الأوبرا وأعيد قراءة البيانات الخاصة بالفيلم والمطـــبوعة فـــي "بامفلت" خاص. أطيل التأمل في أسلوب تصـــميم المبنـــي المعـــتمد على الأقواس والنوافذ الصغيرة الضيفة وشغل الأرابيسك والسقف العالي والأعمدة البيضاء.

فكـــرت أن هـــذا التصميم مأخوذ من العمارة الإسلامية وأن كثيراً من الهيئات الأجنبية تقدم على ذلك الآن بعد تنامي ما تعتـــبره "اتجاهات راديكالية معادية للغرب" في مصر حتى لا تبدو – على مستوى التصميم المعماري على الأقل – غريبة عن المجتمع المصري.

لم يشعرني هذا بالارتياح.

عـــدت أفكر أن الأسقف العالية – بالذات – تقليد تاريخي لم أحبة أبداً في بناء دور العبادة منذ الفراعنة.

وفجأة وجدتها أمامي.

عـــيونها الواســـعة الجمـــيلة مليئة بالحزن رغم ابتسامتها المرتبكة وهي تقول بإنجليزية سيئة:

– عذراً، ولكنني عرفت من مستر أحمد – البيه الموظف – أنـــك تنتظر الفيلم، هذا يعني أنك لازال لديك ٣٠ دقيقة، ولهـــذا فكـــرت في أنك ربما ترغب في مشاهدة معرضي، يسعدني هذا كثيراً.

أحدثـــت خطواتـــنا علـــى أرضية الباركيه في الدور الثاني، أصواتاً مزعجة.

– آسفة، فالمكان كما ترى غير مجهز لاستقبال الجمهور.

وهزت رأسها في حسرة.

– الحق أنني لم أر جمهوراً منذ الافتتاح أول أمس.

كان المكان معتماً..

أشعلتْ أحد الأنوار، أدارت المفتاح في باب القاعة ثم أشعلت جمـــيع الأنوار، وما إن وقفت أنا أمام الصور المعروضة في المقاســـات المعـــتادة للوحات التشكيلية حتى هتفت فوراً في

سري:

"يابنت الإية!"

إذ يقوم فن التصوير الفوتوغرافي على فكرة غاية في البساطة هي السكون.اقتناص لحظة حية وتثبيتها في إطار خارج حدود المكان والزمان. غير أن أول ما يخطف الدهشة من عيونك هو هذا الإيحاء القوي بالحركة الاهتزازية المراوغة!

خف الجمل يعلو ويهبط في حركته الأبدية على الرمال..

دخان الشيشة يصنع حلقات وخطوطاً في الهواء..

النسوة في أزقة دمشق القديمة أكاد أسمع رنة خلخالهن..

والحركة في هذه الصور المأخوذة بالأبيض والأسود لا تتم بمنطق الواقع الصاحي، بل بمنطق الأحلام. الانتقال الهادئ المسترسل للمادة وكأن الوجود ليس سوى مشهد سينمائي طويل تم تنفيذه بالتصوير البطئ، والأشخاص في الصحاري والمقاهي الشعبية ليسوا أشخاصاً بل أفكاراً حنونة تغفو في الخلفية على هيئة ظلال بلا ملامح. تمنيت من كل قلبي أن يكون هذا هو العالم الذي أعيش فيه، عالم بلا ألوان، يختفي فيه اللمعان المصقول لكتالوجات موضة الشتاء، وتصاب

داخـــل أسواره تجارة كروت البوستال بالكساد، ويمل ضمن حـــدوده موظفو الأمن من استقبالي يومياً بابتسامة عريضة مـــنافقة وأنـــا أخطو إلى مكتبي في المؤسسة الضخمة ذات القلب الرخامي..

4

"أين رأيت هذه الكرافتة من قبل ؟"

همستُ بالسؤال لنفسي وأنا أدخل قاعة المعرض مرة أخرى فـــي يـــوم آخر، كان لونها غير مألوف أقرب ما يكون إلى روز فاتح يرتديها أحد الأجانب تحت جاكت كحلي وهو يتأمل اللوحات بمرافقة ماريا.

حاولت أن أفهم لماذا أشعر بالضيق قليلاً.

هل لأني فوجئت بوجود أحد الزوار ؟

هل كنت أريد أن أجدها بمفردها ؟

هل لأنه كان يفوقني طولاً بشكل ملحوظ ؟

أكـــثر مـــن افتراض غير مقنع طرأ على بالي حتى اكتشفت أننـــي عـــدت مـــرة أخرى لممارسة لعبة الخداع الجبان مع الذات. نعم لم يكن لديّ الشجاعة الكافية لأعترف أمام نفسي أننـــي تضـــايقت، فقـــط لأنهمـــا فـــي حركتهما البطيئة أمام اللوحـــات، كانـــا على وشك التلامس العابر غير المقصود، بعبارة أخرى، كانا على وشك الالتصاق!

هي منهمكة في الشرح بالإنجليزية وهو قد خلع نظارته

الطبية وأمسكها بشماله يهز رأسه علامة الفهم والمتابعة، وما بين كتفيهما مجرد فراغ ضيق من السنتمترات البخيلة.. السنتمترات التي ترقبني، تهزأ بي وتخرج لسانها لي، تقول: أيها العبيط! بأي حق تحس بعدم الارتياح!

حتى من ظهرها بدت ماريا جميلة ذلك الجمال الطازج وكأن الله انـــتهى من خلقها تواً، كان عنقها هشاً وطويلاً والجاكت القطني على يدها ينادي خداً رجالياً كي يغفو عليه.

- معذرة!

قلت وأنا أتنحنح على طريقة جدي معوض وهو يدق على باب بيت مبنى من الطين ومعرّش بالخشب والجريد تسكنه بمفردها واحدة ست ترملت حديثاً

- أوه! هاى!

قالت وابتسامة سلسلة، تلقائية تشرق في سماء وجها مثل شمس صغيرة..

- هاي!

رددتُ التحـــية، ثـــم ســـكتُ برهة متوقعاً – في الحقيقة متمنياً – أن تقوم بتقديمنا لبعضنا البعض.

لم يحدث ذلك.

- أوكي، سأنتظر بالخارج.

قلت محاولاً أن أتقمص شخصية "الجنتلمان" المتفهم.

- أوكي

ردت ببساطة.

لـــم يمـــض وقـــت كثير وأنا انتظر على مقعد جلـــدي فخـــم بلون البرتقال، خرجتْ هي تودع الأجنبي الطويل وحمدتُ أنا الله على أن العلاقة بيـــنهما ليست حميمة إلى الحد الذي يستدعى وضع قبلة على الخد.

- إذن، سوف نكون على اتصال.. وداعاً..

قال وهو يستدير هابطاً السلم الخشبي محدثاً ضجة هائلة.

- إنه شخص لطيف.

قالت وهي تنظر في اتجاهه، أخرجت علبة سجائرها من شنطة يدها، كانت من النوع المحلي " كليوباترا"، لم أكن أدخن، ولكن سبق لي إقامة علاقة مع مدخنات.

- ولكن عرضه لا يروق لي.

كانت لا تزال تتحدث عن ذلك الأمريكي.

خرج دخان النفس الأول في بطء وتلذذ.

أنوثتها الاستثنائية – على عكس الأخريات – لم تتأثر إطلاقا بمنظر فتحة الأنف وقد تحولت إلى مدخنة صغيرة شرهة.

- أي عرض ؟

- إصدار كتاب مصور يضم مختارات من أعمالي.

- أهــو ناشر ؟ شكله – لم أقل كرافتته – في الواقع يبدو مألوفاً لي ؟

- نعم لابد أنك تعرفه، فهو مسئول في قسم النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة.

قالـــت بحمـــاس وقد استدارت نحوي تماماً ونظرت في عينـــي مباشـــرة، وعلـــى الفور تداعت الصور في ذهني، المظاريف الأنيقة البيضاء التي يحملها البريد إلى مكتبي من وقت إلى آخر، بداخلها بطاقات الدعوة الملونة لحضور حفل اســـتقبال علـــى شـــرف المؤلف فلان بمناسبة صدور كتابة الفلانـــي عـــن قسم النشر بالجامعة التي يدعونها اختصاراً A.U.C وتذكرتُ جملة refreshment will be served التـــي تأتـــي في ذيل الدعوة تجسيداً لطريقة الأمريكان في التعبير عن الكرم.

الصخب المحبب اللذيذ في "حديقة الأزهار النادرة" وضيوف الحفـل يتـبادلون الأحاديـث الضاحكة وكئوس العصير في أياديهم.

السيدات في فساتين السواريه السوداء، مهرجان الكرافتات، الإحسـاس الفـاقع بالانتصار الذي يطل من عيون الجميع: أمريكان ومصريين، فكل أمريكي يضع يده اليمنى في جيبه ويحمـل كأسـه بشماله وحالة من الاسترخاء والثقة تهيمن علـيه على نحو يذكّر بضباط البحرية الإنجليز قبل ٦٠عاماً وهـم يتناولون كأساً من البيرة في حانات خاصة بهم وسط القاهـرة حيـن كانت جزءاً من الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس.

المصـريون يجـتهدون فـي تقلـيد اللكـنة الأمريكية وهم يـترجمون آخر نكتة مصرية بأداء من يعرف أنه تحول إلى شـخص آخر بمجرد أن عبر بوابة "حديقة الأزهار النادرة" وتـرك وراءه الزحام والفوضى والغبار للآلاف الهائمة على وجوهها في الشوارع.

وسـط كـل ذلـك يتبدى الروز الفاتح في الكرافتة، أمريكي طويل لا يكف عن الابتسام، نصف أصلع، هادئ النبرة، وفي

كل حفل استقبال، هناك امرأة جديدة يحدق في عيونها أثناء الدردشته معها.

- نعم، أعتقد أنني تذكرته.
- وماذا تعتقد ؟
- بشأن ماذا ؟
- العرض الذي قدمه، أنا في الواقع مترددة.
- أنا واثق أن غيرك من الفنانات يحلمن بهذه الفرصة، لاسيما أنهم في الـ .A.U.C لديهم خبرة جيدة في الدعاية والتوزيع.
- كي أكون صادقة، يجب أن أخبرك أنني لدى حساسية خاصة ضد كل ما هو أمريكي، حتى قبل أن أشارك في كثير من أنشطة حركة مناهضي العولمة.

نظرتْ إلى السقف وأخذتْ تتطلع إلى النقوش وهي تنفث الدخان على مهل.

- في الواقع، لستُ مثل ألكسندرا وجينارو وكارلو وبقية المهووسين بقضايا السياسة والاقتصاد، هؤلاء الذين تنتفخ ذاكرتهم بالأرقام والبيانات، فأنا أعتمد أكثر على الحدس والإلهام، وعندما أخرج مع الآلاف في شوارع

رومـــا، أكتفـــي برفع لافتة بيضاء عليها كلمة واحدة هي "السلام"، أياً كان موضوع المظاهرة.

- من أين جاءت هذه الحساسية إذن ضد كل ما هو أمريكي ؟

- لا أعــرف بالضـــبط.. أنا أكره الطب الحديث، ولا أؤمن بالأدويـــة الكيماوية، ويعذبني بشكل خاص أن يفقد إنسان العصـــر علاقـــته بالأرض فيما يأكل، وأن يُحرم من السير بقـــدم عارية على عشب مبتل بالندى قبل شروق الشمس، يعذبنـــي أن تـــتحول الفـــرحة والألم إلى تجارة كبرى لها دراســـات جـــدوى وخطـــط تســـويق، كثيرون يقولون أن الخـــلاص لـــن يأتي إلا من آسيا حيث الروحانيات والتأمل والريكـــي والفانكتشيوى وأفكار الـــ NEW AGE ، لا أعتقد ذلك. الخلاص إرادة فردية لا علاقة لها بالجغرافيا .

توقفتْ فجأة لتتنفس بعمق

- لا أعرف لماذا أسترسل معك في الحديث حول هذه الخزعبلات..

قالت وهي تبتسم في حنان

- عفواً، ولكن ما علاقة كل هذا بأمريكا ؟

- سألتها..
- أخبرتك أنني لا أعرف بالضبط.

قالت بحدة كامنة في نبرتها. تابعتْ:

- ربما كان للأمر علاقة برحلتي إلى نيويورك، كان ذلك قبل ست سنوات حين أقمت معرضي الأول في **جاليري Doma** يومها كتبت "**نيويورك تايمز**" تقول أن شخصية فنية جديدة دخلت المشهد التشكيلي بقوة وانهالت عروض البيزنس، غير أني بعد أسبوع كنت في روما أدفن وجهي في سريري وأبكي بسبب شعوري بالعار، لقد اكتشفت أن نيويورك مدينة للآخرين فقط.

أصبحتْ متوترة قليلاً، بدا هذا واضحاً في انبثاق رعشة لا إرادية، متناهية الخفة، جعلتْ السيجارة تهتز بين أصابعها، عرفتُ في هذه اللحظة أنني لن أحبها أبداً.

فقط سأعبدها.

- أما أنا فينتابني أحياناً إحساس غامض بالذنب تجاه كل ما هو أمريكي.

قلت وكأنني أتحدث إلى نفسي.

- كيف ذلك ؟

ســألتْ باهــتمام واضــح، غــير أن نــبرتها ظلت محتفظة بهدوءها.

- تلك قصة أخرى. دعك منها الآن، وأخبريني ما هو برنامجك الليلة ؟

5

كعربـــي، أنـــتمى إلى تراث قديم الجنون فيه هو الدليل الوحيد العاقل على الحب، هكذا أسقط المؤرخون اسم "قيس بـــن الملـــوح" واكتفوا بالإشارة إليه باعتباره "مجنون ليلى" ونسي الناس هويته كأمير لشعراء الكلام الذي يسعد القلب. تذكـــروه فقـــط كشـــاب يستحق الرثاء لأنه خرج عن تقاليد القبـــيلة وصـــرح باســـم المحـــبوبة في قصائد فكان عقابة الحرمان من الزواج بالفتاة التي ذهب حبها بعقله.
هـــذا ما كنت أقوله لنفسي بمناسبة البلكونة وابتهالات الفجر وأنا في الطريق للقاء ماريا في المركز الثقافي. كنا قد اتفقنا فـــي الـــنهاية على إجراء مقابلة صحفية للمجلة الأسبوعية التي أعمل بها.

حرصـــت هـــذه المـــرة على تجاهل الموظف واكتسبت خطواتي إيقاع من يعرف طريقه.
ابتســـمت ماريا وقالت على الفور أنها غير مرتبطة ببرنامج محـــدد، قبلـــت دعوتـــي لأن تخرج معي دون تردد، وكأنها جـــاءت إلـــى القاهرة فقط من أجل تلبية هذه الدعوة، وقفت

أمـــام المـــرآة – فيما أرجو – ترش عطرها الخاص وتختار أجمـــل أقـــراطها للخروج مع رجل غريب لم يحدد لها حتى اسم المكان الذي سيذهبان إليه. كل ما قاله كان:

– سأكون مرشدك الخاص هذه الليلة

وكـــم بـــدت هذه العبارة مطمئنة، وكافية لأن تكسر نصائح أصـــدقاءها بتوخي الحذر في التعامل مع العرب إذ قالوا لها أن كل عربي يعتبر أي أوربية عاهرة بطبيعتها إلى أن يثبت العكـــس. رغـــم كل ذلك، لم أندهش من استجابتها السريعة علـــى هـــذا النحو، فقد بدا لي أن هذا هو الطبيعي جداً وما يثـــير الاســـتغراب هو أن يحدث العكس، لم أكن أشعر فقط أننـــي أعرف صاحبة هذه العيون الحزينة منذ زمن بعيد، بل عرفتها – ولا أدري كيف أشرح ذلك – في حياة أخرى.

كتبـــت أثـــناء مراهقتـــي قصـــة أجدها الآن نوعاً من المســـخرة بعـــنوان "زفاف ماريا" تحكي عن حفل زفاف فتاة جميلة على متن قارب صيد أحيته فرقة من طيور النورس. لـــم يكـــن هناك عريس في هذه القصة التي تقع أحداثها في مـــنطقة "اللســـان" بمدينة رأس البر حيث تلتقي عذوبة مياه النـــيل بملوحـــة مـــياه المتوسط، قرأت القصة بقصر ثقافة

المحافظة، وكان السؤال الذي طرحة الجميع بصيغ متتفاوته هو:

ولمــاذا اسم ماريا ؟ ما دلالة هذا لاسم الأوربي ؟ لماذا ليس سعاد أو فاطمة أو زينب أو أي اسم آخر نابع من البيئة ؟

كان السؤال منطقي جداً ولكنني لم أعرف له إجابة.

- كيف استلهمت الاسم.. كيف خطر على بالك ؟

سألني شاعر عجوز اعتاد أن يقول أنني موهوب وحساس. كــان من الواضح أنه أشفق عليّ حين رآني حائراً فأراد أن يهوّن الأمر عليّ بسؤال بسيط، ولكنه لم يكن أبداً بسيطاً.

- أنا لم أختر هذا الاسم!

قلت بنبرة يائسة واثقاً أن أحداً لن يستوعب حقيقة أن الاسم هــو الذي اختارني، فأنا لم أسمع به من قبل، ولم يصادفني فـــي الــروايات المترجمة التي اعتدت على استعارتها من مكتبة البلدية، لكني ذات مرة سمعت صرخة عاشقة:

انتبهي ماريا!

كــان قائد "القوة دلتا"يحذر محبوبته من هجوم غادر قام به الوحــش الاليكترونـــي الشرير في حلقة كرتون بالتلفزيون يشــاهدها أولاد أخــتى الذيــن لــم يتجاوز أكبرهم العاشرة

وتذكـرت الأحـلام الغريبة التي يزورني فيها الاسم، وما إن أسـتيقظ حتى تتبخر كل التفاصيل ولايبقى منها سوى رجع الصـدى البعيد القادم من بئر عميقة لحروف: م – ا – ر – ي – ا.

وحيـن رأيـت عيونها – الإيطالية التي تحمل نفس الاسم – استيقظ فيّ شئ ما كان نائماً.

أضاءت بصيرتي وتذكرت كل شئ دفعة واحدة..

لقـد كنـت خادمـاً في مملكة الرب أعمل بكل ما أوتيت من عـزم. في النهار أتوكأ على عصاي وأضرب في الصحاري لأوزع لبـن الهداية وعسل الإيمان، وفي المساء أبكي حزناً على قطعان بشرية ضالة تأبى دخول الحظيرة.

وظهرت راعية الغنم.

لم تحاول غوايتي.

قالت فقط:

أنا ماريا ياأبتاه!

وعلى الفور، وكأنني عشت أنتظر هذه اللحظة، نسيت العصا والصـحراء وصرت أحج فقط لبساتين تلوح بعيداً في عمق عينـيها. اشـتهيت بحـراً من الآثام وأنا أمد يدي أتحسس

صدرها، وحين أدمنتُ نبيذ شفتيها، اختفت فجأة، كما ظهرت فجأة. صرت طريد جنة الرب وجنة العيون الزرق.

حدث هذا في حياة أخرى عشتها قبل ذلك بالتأكيد. في حياتـــي الحالـــية اســـمي عبدالله. مسلم شاب تنهاه عقيدته الدينـــية عن التفكير في تعدد الحيوات وتناسخ الأرواح، غير أنه يستقل التاكسي اللآن بصحبة صديقته الخواجاية محاولاً أن يتذكرالملابســـات والتفاصـــيل فـــي علاقة القسيس مع راعية الغنم الحسناء، فيشعر بطنين خفيف في الآذن.

كانـــت ماريا قد أعطتني رقم تليفون صديقتها الإيطالية المقيمة في القاهرة بشكل مستقر. اتفقنا على أنني سأكلمها حيـــن أكون مستعداً وتصف لي العنوان فأذهب لاصطحابها مـــن هناك. ألمحتُ إلى أن السهرة ستطول فالقاهرة مدينة لا تـــنام، خصوصاً في رمضان. طلبت الرقم من مكتبي بالمجلة وأنـــا أشعر بالإثارة، فرد عليّ صوت أنثوي جاف، عدواني ربما، هذه إذن هي ألكسندرا.

إنجليزتها أفضل حالاً.

فـــيما بعد سأعرف أن خيباتها الدائمة في الحب جعلت النبرة الجافـــة سمة طبيعيه في صوتها، ماريا فشلت تماماً في أن

تصــف العــنوان، كل ما فهمته هو أنها في المهندسين، في مكـــان ما له علاقة بشارع أحمد عرابي، اقترحت عليها أن نلتقـــي الســـاعة التاســـعة أمـــام المركز الثقافي ومن هناك ننطلق.

وصلت أولاً.

الشـــارع معتم ولولا الضوء المنبعث من لافتة مكتب طيران "لوفتهانزا" لكان الظلام حالكاً.

لم تعجبني رائحة فمي.

بغريـــزة الصـــياد القديـــم استشعرت خطورة ذلك إذا سارت الأمـــور على ما يرام هذه الليلة، فكرت أن أخطف رجلي إلى أقرب سوبر ماركت على ناصية الشارع لشراء "هولز".

لم تكن فكرة سيئة.

قرص واحد جعل فمي يضج بالانتعاش والرائحة الذكية.

فـــي تمام الموعد، رأيت شبح معطف بلون دم الغزال يكشف عـــن نعومـــة لا تُحتمل للركبتين. البوت القصير كان بنفس اللون.

لم أصدق أن هذا الجمال اختارني.

- بوناسيرا سنيوريتا!

بادرتهـا بالتحية منحنياً مثل عاشق على الطراز الكلاسيكي في فيلم إيطالي بالأسود والأبيض.

- بوناسيرا سنيور!

ردت التحية وهي تضحك.

الأمتار الأولى التي مشيناها سوياً في الشارع الجانبي كانت مبشـرة للغاية. طولنا مناسب بحيث يمكنها أن تضع رأسها على صدري بسهولة وتغمض عينيها لتنسى العالم. خطواتنا منسـجمة وإيقـاع حركتـنا الجسدية عموماً يتسم بالهدوء والاسترخاء.

سـرنا صـامتين غير أن حواراً ناعماً كان ينفجر بيننا مثل فقاعات هائمة في الفضاء يضيئها شعاع الغروب.

كـادت أن تسقط بسبب البلاط المكسور على رصيف الشارع الرئيسي.

لحقت بها في اللحظة الأخيرة.

- أسـف.. ولكـن هـذه هي طريقة القاهرة في الترحيب بضيوفها..

قلت مبتسماً

- لا بأس

قالت وهي تحاول استعادة كبرياءها.

سـائق التاكسـي الذي أوقفته أخذ يسب ويلعن - كالعادة - يوميـن محددين: اليوم الذي وُلد فيه واليوم الذي عمل فيه مضطراً في هذه المهنة.

والسبب طبعاً هو المرور.

لا توجد إشارات أو عسكري لتنظيم هذه الفوضى.

سـيارات تسـير في الاتجاه المعاكس وأخرى محشورة بين الشـوارع الجانبية والشارع الرئيسي مثل حمامة في جوف حية.

الكلاكسات الغاضبة تتوالى مثل نفير حرب قبائلية.

وسحابة من الأتربة تعلو الرؤوس.

- لطيف جداً!

قالـت وهي تشير صوب ٣ فتيات بملامح آسيوية تضع كل واحدة منهن كمامة صغيرة بيضاء على فمها.

- لابد أنهن يابانيات.

علقتُ

- لماذا ؟

- اليابانيون أكثر شعوب العالم رعباً من فكرة التلوث الذي

يــبدو أن مســتواه في مدينتنا السعيدة أيقظ لديهم عقدة تفجير القنبلة الذرية في هيروشيما ونجازاكي.

قلت مازحاً

- هل الأمر خطير إلى هذا الحد ؟

سألتْ بجدية.

- أبــداً.. فهأنت ترين أجانب من كل الجنسيات، وأهل البلد أمــامك لا يكفــون عــن القفز العشوائي أمام السيارات، والحكومة تشكو من أن عدد السكان يزيد طفلاً جديداً كل ثلاث ثوان.. لذلك لا داع للقلق!

حيــن وصــلنا، لم أعط السائق فرصة للمساومة وهو يأخذ أجرته.

- مرحباً بكِ في حي الحسين

- نعــم الحســين.. قرأت عنه كثيراً وعن مقهى الفيشاوي الذي كان يجلس عليه أديبكم الحائز على نوبل...

- نجيب محفوظ

- نعم، آسفة. نسيت الاسم

لم آت هنا منذ سنتين.

فوجئــت بكــثافة ســيارات الأمن المركزي وعناصر القوات

الخاصة في زيها الأسود. يبدو أن شبح التفجيرات الإرهابية لازال ماثلاً.

كان لابد من العبور إلى الجانب الآخر.

هبطنا السلالم إلى نفق صغير ضيق يشبه الاستحكامات الألمانــية فــي أفلام الحرب العالمية الثانية. فلاحات عجائز يفترشن مدخل النفق لبيع المناديل الورقية والليمون.

طيــبات، هادئـــات، لا ينــاديــن على بضاعتهن، فالرزق في النهاية مقسوم.

صــوت جهــوري يرن في جنبات المكان مرتلاً آيات الذكر الحكيم بلوعة وشجن.

مقرئ شاب كفيف بطاقية بيضاء يجلس بجلبابه الريفي على البلاط البارد.

أخرجت ماريا قطعة نقدية ووضعتها في يده المفتوحة تنتظر إحسان العابرين.

- تفضل ياباشا... شرَّفنا يابيه!

مندوبون عن المقاهي الشعبية المتجاورة ينادون ويشيرون.

بعضهم يعترض طريقي.

تلك طريقتهم في المنافسة على خطف الزبائن، خصوصاً لو

كانوا من أوروبا أو الخليج.

- أعـرف مقهـى صغيراً وهادئاً بعيداً عن الضجة الفظيعة وإلحاح المتسولين هنا.

- وهو كذلك يامرشدي الخاص

قالت بانتعاش

سـاحة الأسـفلت التـي تتوسط المساجد التاريخية مغسولة بالماء والصابون والمواد المعطرة.

الشيشة هنا هي كلمة السر.

تكويـنات زجاجـية بديعـة تنتفخ بالماء، والنفس المشفوط يسـري عـبر الخراطـيم الـزرقاء الموشاة باللون الفضي فيـتوهج الجمر ويحترق المعسل قبل أن تخرج دفقة الدخان من الفم حاملة أسرار اللذة بنكهة التفاح والأناناس.

تتجاور الشيش في يد الزبائن من كل الأعمار والجنسيات.

الدخان يتصاعد سحباً زرقاء في سماء الليل السهران للحي الذي يحمل اسم حفيد رسول الله.

- عذراً، ولكن لا يوجد حل آخر!

قلـت وأنـا أمسك بيدها استعداداً لخوض معركة المرور في الشـارع الجانبي الذي ينطبق عليه القول المصري المأثور:

"الداخل مفقود والخارج مولود".

فالزحام هذه المرة يفوق الخيال.

كـــتلة بشـــرية هائلـــة محشورة في أمتار قليلة مثل سردين معلب.

تركت ماريا تمشى أمامي.

في الحقيقة، لم نكن نمشي. كنا نتحرك بنظرية الدفع الذاتي.

كنت أحاول حمايتها من غابة الأقدام والأكتاف المتدافعة.

لحسن الحظ، لم يكن المقهى بعيداً.

الكراســـي والمقـــاعد مرصوصـــة في الزقاق الصغير تحت عريشة من ورود "ست الحسن" البنفسجية.

الزبائن بالفعل قليلة.

فـــانوس ضـــخم يتدلى من السقف محاطاً بعشرات المثلثات الورقـــية الملونـــة، والمتدلـــية فـــي حبال رفيعة متقاطعة.

الأعـــناق تســـتدير نحونـــا في محلات الفضة والهدايا على الجانبين.

الجرســـون فـــي اليونـــيفورم الأبـــيض يقبل نحو ترابيزتنا مسرعاً.

- مساء الفل ياباشا!

قالهـــا على طريقة أولاد البلد غامزاً بعينه فيما معناه: هنيئاً لك بصحبة العصفورة الخواجاتي.

بدأ جمال ماريا يفرض حضوره إذن.

آمنت دوماً بأن الجميلة ليست هي من تلفت نظر الرجال، بل مـــن تجعـــل جـــرس الإنذار لدى النساء الأخريات يدق. هذا بالضبط ما حدث مع تربيزة البنات الجالسات مع أصدقاءهن بالقـــرب منا. كانت عملية مسح شاملة لماريا تتم في هدوء علـــى وقـــع كركـــرة الشيشـــة في أياديهن. طلبت لها شاياً بالنعـــناع على الطريقة المصرية كما تفضل، وطلبت لنفسي فنجان قهوة مضبوط.

- يعجبني المكان للغاية

قالت وهي تتطلع إلى الأعمدة والنقوش على الجدران.

- لابد أنك تأتي هنا باستمرار

أخرجت علبه سجائرها

- أرجـــو ألا يكـــون التدخين شيئاً مزعجاً لك. من الواضح أنك لا تدخن.

- لماذا ؟

- أسنانك وشفتاك

- معك حق، هل أنت مدخنة شرهة ؟
- لا، ليس الأمر كذلك. فقط ظللت طوال النهار صائمة عن التدخين، فنحن في رمضان كما تعرف.
- ولكنك لست مسلمة!

اعترضت مندهشاً..

- نعم أنا مسيحية، ولكن الدين هو الدين. كيف أدخن وحولي موظفون وعمال مسلمون صائمون في المركز

وكان أن حل الصمت.

- يبدو أنك غير مقتنع.
- أخبرني، لماذا تختارين "كليوباترا".. لماذا ليس "مارلبورو" أو "جيتان" أو أي ماركة سجائر أخرى اعتدت عليها من قبل ؟
- عندما أكون في بلد جديد أحب أن أحياه بمنطقه هو، وليس بمنطق عاداتي القديمة، لكن قل لي لماذا لا تبدو مقتنعاً بما قلته حول احترامي لعادات الآخرين في بلد مسلم ؟

لم أرد.

- هل تصوم ؟

سألتني.

- هاهو الشاي بالنعناع

قلت وأنا أنظر إلى الجرسون قادماً.

اســم المقهــى مكتوب بالأخضر أسفل الجيب في القميص الأبــيض الذي يرتديه. وضع الكوب والفنجان والسكر ثم انصرف.

- ليست المشكلة هي أصوم أو لا أصوم

سكتُ فجأة.

لم أعرف كيف أشرح لها فكرتي. هنا، ولأول مرة أدركت أهمــية أن نــتكلم نفــس اللغة - الإيطالية أو العربية - وليس لغة ثالثة وسيطة.

- أكمل.. لماذا توقفت ؟

حدقت في عينيها طويلاً.

- هل تذهبين إلى الكنيسة ؟

- لا، ولكننـــي أومن بالرب واعتقد أنني على علاقة طيبة معــه روحــياً. أعــتقد أن هذا يكفي، فإلهنا في النهاية لــيس رئــيس مجلــس إدارة مــتفرغ لمتابعة جداول الحضور والغياب لموظفي الشركة

- هل أنت كاثوليكية ؟

- نعم

أحسست برغبة طفولية في الاكتشاف.

كان الفضول جارفاً.

المعلومـــات الـــنظرية التي تلقيتها عبر الروايات والأفلام يمكنني الآن اختبارها.

- إذن لـــو تزوجـــتِ، سيظل الزواج سارياً إلى الأبد. هل تعرفيـــن أن تعبير "زواج كاثوليكي" يستخدم أحياناً في الصـــحف العربـــية لوصف العلاقة الخاصة بين أمريكا وإسرائيل ؟

- حقاً.. ؟

- أكيد، هل بيتك قريب من الفاتيكان ؟

ضحكتْ

- تماماً مثلما نحن قريبان الآن من الجامع الأزهر

- كيف عرفت ؟

- هل تظن نفسك مرشدي الوحيد ؟

ابتسمتْ في خبث.

- أرجـــو ألا تشعر بالغيرة، فمرشدي الآخر دليل سياحي

عن مصر

- أوكي

حل الصمت ثانية.

- انتبه لقهوتك.. ستبرد..

قالت وهي ترتشف أولى رشفاتها من الشاي.

- رائع!

لم يكن مذاق قهوتي بنفس وصفها للشاي.

- أخبرني حقاً لماذا لا تبدو مقتنعاً بكلامي عن الصوم.. هل لديك موقف منه ؟

كانت نبرتها مشوبة بالرجاء.

- لا أعرف بالضبط ياماريا.. لكن كلامك هذا جعلني - مع فارق التشبيه - أتذكر معظم أصدقائي من الأقباط. إنه الاسم الذي نطلقه على المسيحيين المصريين. فالدين لا يعنيهم في شئ، لكنهم مضطرون لأن يدقوا الصليب على باطن معصمهم، ويعلقوا صورة العذراء في السيارة، ويداوموا على التبرع للكنيسة. بالطبع هذا هو السلوك المعتاد والمتوقع من أقلية تبالغ في مظاهر الحرص على هويتها حتى لا تذوب وسط

الأغلبية المسلمة. ومع ذلك إذا ذكر أحدنا نكته جديدة عن الهوس الجنسي عند القساوسة ونحن في صالة التحرير، يتظاهرون بمشاركة زملاءهم في الضحك، باعتبار أن المصريين في النهاية – وبغض النظر عن الدين – أولاد نكته. المشكلة حين يأتي رمضان. يفعلون مثلما تفعلين، بحجة احترام مشاعر الآخر. لا يبدو لي الأمر كذلك.

مرة أخرى أسكت حائراً.

– كيف يبدو لك إذن ؟

– أرجوك ياماريا، لا أرغب في الكلام في هذا الموضوع، على الأقل الآن..

– أسفة

وكان أسفاً حقيقياً يطل من عينيها الجميلتين.

– هل تذهب إلى المسجد ؟

سألتْ بتردد.

– لماذا تصرين على طرح جميع الأسئلة مرة واحدة. هذه ليست المرة الأخيرة للقاءنا.. أليس كذلك ؟

قلت مبتسماً.

- أرجوك أجب عن سؤالي وكف عن المراوغة!
- أوكـــي، أنا لا أذهب إلى المسجد، بمعنى أدق كففت عن الصـــلاة فيه، حين أصبح ذلك يعني الامتناع عن سماع الأغاني باعتبار أن الموسيقى اختراع شيطاني ولم أعد أصـــافح نـــورا - بنت خالتي التي كانت أقرب لي دوماً من أخواتي البنات - باعتبار أن ذلك شروع في ارتكاب جريمة الزنا.
- كيف ذلك ؟

مرة أخرى أوقن أنني سأحبها.

ســأحب ماريـــا حـــباً غريـــباً مبهماً يعتصر قلبي الصغير الأخضـــر، فأمـــام هـــذه الحيرة التي تضرب الآن شواطئ عيونها الزرق، لا أملك سوى أنا أكون عاشقاً.

- اســـمعي، تلك قصة طويلة ومعقدة.. سأحاول أن أكون بســـيطاً ومختصـــراً. كنت طالباً جامعياً يحلم مثل آلاف غـــيره في اتحاد الطلبة بحياة أخرى أكثر عدلاً وجمالاً للبلاد التي أحبها كما لم يحب شيئاً في حياته. وبما أن جمـــيع سيناريوهات التغيير استنفذتها الأجيال السابقة، لم يبق أمام جيلنا - جيل التسعينيات - سوى معجزات

المجاهدين في أفغانستان. كان الواحد منهم تباغته دبابة روسية تريد أن تدهسه وهو مطروح أرضاً يئن من جراحة فيمسك حفنة من الرمال ويذكر اسم الله عليها ثم يلقيها على الدبابة فتحترق على الفور. وكانت طائرات الشيوعيين الملحدين تلقي القنابل على المسلمين النائمين، فتتحول القنبلة إلى حمامة بيضاء ترفرف بعيداً آمنة مطمئنة قبل أن تمس الجنود..

هذه الحكايات كنا نصدقها على الفور بنفس بساطة تصديقنا لوجود كواكب أخرى في المجموعة الشمسية. قيل لنا أننا أيضاً قادرون على تحقيق المعجزات في قرانا الفقيرة المنذورة للجوع والبرد والبلهارسيا. المطلوب فقط أن يكون إيماننا بالله والتزامنا بتعاليم ديننا مثل إيمان والتزام إخوتنا المجاهدين. وحين خرج الروس مهزومين، خرجنا إلى ساحة كبيرة نصلي صلاة شكر في الخلاء، غير أن فرحة النصر لم تدم. سرعان ما انقلب إخوة الجهاد على بعضهم البعض واستيقظت بين الفصائل الأفغانية الأحقاد العرقية التي كانت نائمة في ظل وجود عدو مشترك.

وكان الصراع على السلطة مذهلاً في عنفه وضراوته.
فـــي الـــبداية قال لنا الأخوة في القرية لا تصدقوا كل ما تسمعوه في مونت كارلو و B.B.C، ثم عادوا وقالوا إنها الفتـــنة وكيد الشيطان. رباني وسياف وشاه مسعود ليسوا أنبياء معصومين.

وأخيراً سكت الأخوة.

لم يعدوا يقولوا شيئاً.

سكتنا جميعاً.

أخـــذتُ نفســـاً عمـــيقاً وأنـــا أشعر بالمأزق. لقد تحولت "الخـــروجة" الرومانيكـــية إلى دائرة مستديرة في مؤتمر لحـــوار الأديان! يبدو أنني كنت متفائلاً أكثر من اللازم في مسألة "هولز".

- الخلاصة ياماريا أنني لم أعد أذهب إلى المسجد، ولكن الأمر ليس بسيطاً ومنتهياً كما هو حالك مع الكنيسة..

- ولكن..

- أرجوك، لن أتورط في هذا النقاش أكثر من ذلك!

قلت مقاطعاً بشئ من الحدة

- أوكي.. كما تحب

أحسســت فجأة بالذنب. ماذا فعلت هذه الوردة القادمة من روما على جناح البراءة والحساسية حتى أورطها في كل هذا ؟

فكرت في الاعتذار، لكن كم بدت كلمة "آسف" سخيفة إلى أبعد حد.

اقترحت أن نتمشى قليلاً لاستكشاف المكان.

ناديت الجرسون.

كان ممتناً للبقشيش الكبير، وتظاهر للأسف للسرعة التي غادرنا بها جنته الصغيرة.

- رحلة سعيدة يابرنس!

ودعنـــي بعاطفــية مفــتعلة وكأننا على وشك أن نحتضن بعضنا البعض أمام صالة الرحيل في المطار..

6

هبت فجأة دفقة نسيم منعشة.

سرنا باتجاه العمق.

نحـــو مزيد من العتمة والهدوء وأبواب المحلات الصغيرة التي أغلقت مبكراً. لازالت تلك الأزقة الضيقة تحمل رائحة تـــاريخ ســـري من المؤامرات والمكائد حين كانت الدماء الساخنة تتدفق فجأة، وتجحظ العيون في رعب، ولا تكتمل أبداً صرخة الموت الغادر.

ثمـــة سلطان كان يهز رأسه باسماً، راضياً ويقذف بكيس مـــن الذهب ليتلقفه قائد الشرطة مكافأة له على التخلص مـــن شـــاعر غزلـــي رأي ديوان المظالم يضج بالشكاوى والقضـــاة صـــامتون فـــتحول إلى معارض سياسي. وفي ظهـــيرة الـــيوم التالي ثمة إمام يدعو من فوق المنبر في صلاة الجمعة:

- أدام الله في عمر السلطان! أعز الله السلطان!

فيردد المصلون خلفه

- آمين!

كنـــت أشـــعر بـــأرواح هؤلاء الذي قُتلوا غدراً قبل قرون ترفرف بالقرب منا ونحن نسير في "عطفة خوخة".
أحـــد الكلاب الضالة تطلع إلينا برهة ثم عاد ينكّس رأسه ويطلق عواء خافتاً حزيناً قبل أن يغيب في الظلام.
ماذا تريد هذه الأرواح ؟
لا أستطيع أن أفعل لها شيئاً.
تـــاريخ أمتـــي كتبه موظفون في قصر السلطان، والقتلى راح دمهـــم هـــدراً دون أن يعرف أحد شيئاً عن قضيتهم النبيلة.
- لا أريد أن أكمل في هذا الاتجاه
قالت في هدوء.
استدرنا
- فيم تفكر ؟
سألتْ
- في قصص الحب التاريخية التي وُلدت في هذا المكان، نـــادراً ما كان الرجل يرى المرأة قبل ليلة الدخلة، لكن للعشاق حيلهم كما تعرفين!
كذبتُ حتى لا أزيد الموقف سوءاً.

- بالتأكيد

ضحكتْ

- أحب هذا الحي. يذكرني بدمشق القديمة التي أخذت فيها صوراً رائعة

قالت وهي تمد خطواتها أكثر.

كنت راضياً تماماً عن سير عمليات الإرسال والاستقبال بين جسدينا حتى الآن.

في البداية كانت تتحفظ كلما تلامس كتفانا أو تلاقت أصابعنا بالصدفة. في الشارع الضيق المزدحم، استسلمت مثل كتكوت مبتل لحضني غير المكتمل.

في المقهى لم تمانع من اقتراب ساقيَّ الطويلتين وهي تضع ساقاً على ساق. الآن يبدو أن حقلاً مغناطيسياً لا مجال لمقاومته يحيط بجسدينا، مثلما تحيط الهالة النورانية برؤوس قديسين يجلسون على مقاعد من هواء وتخرق نظراتهم قشرة السماء.

وصلنا إلى قلب "الحسين". شارع طويل مزدحم بالأضواء وضجة البيع والشراء. فتارين سوق البازار تزدان بنماذج التماثيل والمسلات والحلي. هنا بازار

متخصص في كتابة أسماء العشاق بالهيروغليفية على ورقة بردي. التسليم بعد ساعة. في خانة السعر - كما يوضح الإعلان الخارجي - كُتبت عبارة: "خلّي عنك خالص". هذا يعني أن هذه السلعة للأغنياء فقط.

محلات أخرى تخصصت في الكريستال.

بدت أهرامات الجيزة وأبوالهول والكعبة والمسجد الأقصى محملة برقة لا توصف حين تحولت إلى مجرد نماذج شفافة منحوتة من هذه المادة التي تنتمي للسماء.

- أوه! انتظر! أريد أن أعرف السعر!

أشارت نحو "الكوفيات" العريضة الطويلة في محل صغير يكاد يكون مجرد صندوق صغير بابه من الحديد.

- أريدك أن تسأل أنت عن السعر، لأنني لو سألت سيبالغ البائع باعتباري سائحة

هذا إذن هو الشئ الوحيد الذي لفت نظرها.

نفس الكوفيات التي كانت حكراً على الرجال من البدو والفلاحين، صارت الآن موضة حريمي ووسيلة مجربة لإثارة هوس السياح.

الفارق الوحيد هو تزيين الكوفية العصرية بهذا الكم من

الزخـــرفة والنقوش في حين أن كوفية جدي حتى في ليلة عرسه كانت سادة تماماً.

الــبائع نظـــر نحو ماريا أولاً حين سألته. كانت تقف على البعد تتظاهر بتأمل قطع الكريستال داخل الفاترينة.

قال رقمه بهدوء وحسم.

رفض أي محاولة للتنزيل.

أدركت أنه يعرف لمن ستؤول الكوفية. ماريا حسبت الرقم بعملتها فوجدت أنه ٥ يورو.

– أوكي. حين أستلم ثمن أول لوحاتي التي بيعت بالأمس، سأقوم بجولة شوبنج هنا.

– ســأكون معــك فـــي هذه الجولة، وسنصل إلى نصف الأســعار التـــي يــبدأون بهـــا، فكـــل شئ هنا خاضع "للفصال".

– بالطـــبع. الأمـــر نفســـه يحـــدث عندنا وربما أكثر في الأسواق الشعبية بإيطاليا.

– حمـــداً لله، لقد بدأت ثقافة البحر المتوسط تتعطف عليّ وتمنحني شيئاً مشتركاً بيننا.

قلــت بمرح محاولاً أن أخفي إحباطي من عدم دهشتها أو

امتنانها لفكرة "الفصال" حتى نصف السعر.
وصلنا إلى الميدان الرئيسي مرة أخرى.
المآذن الشامخة حولنا تحمل البصمة المميزة لفن العمارة الفاطمـــي. إنه الوجه الآخر للسلطان. دقت ساعة الميدان الواحـــدة. حانـــت إذن ساعة الحسم التي سيتوقف عليها مصـــير وشكل هذه العلاقة، فنحن لن نظل نتسكع هنا إلى الأبـــد، كنت أعرف أن الدقائق التالية ستحدد اتجاه الريح في شراييني، وإيقاع نبضاتي في المستقبل.
استندنا بظهرنا إلى السور الحديدي للحديقة الصغيرة.
رفعت قدمها اليسرى إلى الحافة الرخامية.
- هل جربتِ أروع شاي في مصر ؟
سألتُ دون مقدمات.
حدقــتْ فـــي عينـــي طويلاً ثم انفجرتْ فجأة في ضحكة طويلـــة اهـــتز لها جسدها بأكمله شعرت بالارتباك، فقد أصـــبح منظرنا مثيراً لانتباه أحد ضباط الشرطة، وفضول ســـيدة محجبة تفترش الحشائش في الحديقة وهي تفرد ورق الجـــرايد وتـــوزع سندوتشات الفول والطعمية على أطفالها.

- آسفة !

قالت بصعوبة وهي تحاول السيطرة على نفسها.

وضعت يدها على كتفي فازددت ارتباكاً.

- أعتذر مرة أخرى، ولكن الرجال فعلاً يتشابهون مهما تغيرت اللغة أو اختلف لون البشرة!

- لا أفهم شيئاً

- أنت تسألني إن كنت قد جربت أروع شاي في مصر. سأجيبك بأنني أفضل الشاي العادي بطعم النعناع، ستقول أن هناك خلطة سرية لصنع شاي لا يُقاوم. وبالطبع مكونات هذه الخلطة لا توجد إلا في مطبخك. وبالتالي علينا أن نطير فوراً إلى بيتك حتى لا تفوتني هذه الفرصة الذهبية. ستتظاهر بالجدية وأنت تقول بنبرة خاصة "صدقيني هذه فرصة لا تتكرر". وحين ينطلق بنا التاكسي باتجاه البيت ستدير في رأسك كل السيناريوهات الممكنة لمرحلة ما بعد إغلاق الباب علينا،سيكون هذا ممتعاً ومثيراً لخيالك حتى أنك ستكون كريماً مع السائق بشكل استثنائي.

لم أعرف بماذا أرد.

كانت قد هدأت قليلاً.

هستيريا الضحك المفاجئ أصبحت تحت السيطرة.

- هل تشعر بالصدمة الآن لأنني أحبطت مخططاتك ؟

سألتني وعيناها تلمع ببريق الانتصار.

أخرجت علبة مناديل "فلورا" وجففت دمعات تتألق تحت ضوء النيون مثل حبات لؤلؤ لم يعرف الغواصون لها مثيلاً.

لم تكن تنتظر إجابة.

كانت مثل ملاكم أطاح بخصمه بالضربة القاضية بعد مرور ٣٠ ثانية فقط من بدء الجولة الأولى ثم انحنى عليه ليهمس في أذنه: هل تود أن تحاول ثانية ياعزيزي؟ بينما الجماهير الغفيرة تطلق صيحات الاستهجان والاستياء بسبب انتهاء المباراة سريعاً دون إثارة أو دماء!

- أرجوك! لا تبتئس هكذا، فالعيب ليس فيك، بل في العولمة التي جنت على خيال الرجل في الألفية الثالثة.

كنت على وشك أن أسألها ماذا تقصد، غير أنني ضحكت أخيراً ضارباً كفاً بكف.

- لست مضطراً لأن تقول أي شئ

- أوكي

قلت مستسلما..

ولعـــدة دقـــائق كـــنا نسير في صمت دون أن نعرف أين تقودنا خطواتنا..

7

طائر جميل كان يحط منذ لحظات على كفي المفرودة ولسبب غير مفهوم شعر فجأة بالذعر وطار بعيداً.

إحباطي بلغ الذروة.

- هل أستطيع أن أقول شيئاً ؟

سألتها

- بالتأكيد

- ولكـــن إنســـان العصرالحجري هو الذي سيتحدث هذه المرة وليس رجل العولمة.

- سآخذ حذري إذن في هذه الحالة

قالت وهي تبتسم..

- أريـــد أن أصـــحبك إلـــى الكهـــف بعـــيداً عن العيون الفضولية. صدقيني مستعد أن أدفع نصف عمري مقابل أن تقولي نعم.

- يبدو أن شايك الرائع لا يقدر بثمن.

زاد قوس "الخباثة" المحببة في ابتسامتها..

- تاكسي!

أردت أن أضعها على الفور أمام الأمر الواقع.

لا أريـد أن أترك فرصة للتردد أو المساومة، الحسم هو الـدرس الثمين الذي اهدتني إياه فتاة مغربية في الغردقة قـبل ٣ أعـوام. كنـت مدعواًضمن وفد صحفي لحضور المهـرجان الأول لأغاني الفيديو كليب، ومثل بقية زملائي الصـحفيين ، لـم أقبل الدعوة إلا بهدف واحد هو الفرجة علـى نهـود السـائحات الألمانيات وهن يأخذن حمامات شمس.

كـنا نسمع دوماً أن الألمانيات بالذات هن الأكثر كرما بين الجنسـيات الأخـرى في هذا الموضوع، ويبدين تسامحاً مدهشاً مع المتطفلين من المصريين.

القدر كان له رأي آخر.

بعـث لي بهذه المغربية التي فاق جمالها كنوز حسناوات الراين.

سـار كل شئ على ما يرام، لكنها جاءت أمام باب غرفتي فـي "جولـدن فايف ريزورت" ورفضت الدخول. الحاحي ونحن جالسان على كراسي بامبو وخلفنا غابة من النخيل والموالح لم يزدها إلا دلالاً.

جربت كل الحيل دون فائدة.

لمحت اثنين من زملائي يقتربان، فتظاهرت بالغضب بسبب ظهورهما كأن كارثة على وشك الوقوع.

- Shit!

صرخت على طريقة الأفلام الأمريكية فاتحاً الباب فجأة. دخلت دون أن أكلمها أو أنظر إليها، فتبعتني فوراً في صمت ودون تعليق.

مع ماريا، فالاستعجال في توقيف أول تأكسي كانت نتيجته سلبية. جاءت السيارة ضيقة وقديمة من نوعية "فيات". أفضل عادة "بيجو ٥٠٤" فهي واسعة ومريحة وقوية. السائق توقف في آخر لحظة بعيداً عنا بعدة أمتار. يبدو أنه ظن أننا سنغض النظر عنه فأطلق عدة كلاكسات غاضبة يستحثنا فيها على سرعة اللحاق به. لم يفعل كما هو معتاد ويرجع هو إلينا.

ركبنا معه فاكتشفت الأسوأ.

كان السائق ينتمي إلى هذه النوعية التي تزداد جاذبيتها في الشارع يوماً بعد يوم. يطلق لحيته. يرتدي جلباباً أبيض قصيراً تحت سويتر بني من الجلد ويزم شفتيه

علـــى غضب أبدى تجاه العالم، فيما نظرة جامدة تلوح في عينـــيه الضـــيقتين. لابد أن مصحفاً صغيراً يقبع في جيب الجلباب الواسع.

- كورنيش المعادي لو سمحت

لم يرد عليّ.

انطلق مباشرة.

الكاســـيت مفـــتوح بصوت عالٍ على تسجيل لخطبة دينية صاخبة يلقيها شيخ لا يكاد يتمالك نفسه من الانفعال.

- هل يمكن أن تسأله أن يخفض الصوت قليلاً ؟

سألتني ماريا في هدوء وهي تميل عليَّ.

اضـــطررت إلـــى الابتعاد بأذني سريعاً عن مرمى شفتيها. أردت أن أتحاشـــى أي مظهـــر من مظاهر الحميمية بيني وبيـــن أجنبـــية تجلس بجانبي عارية الركبتين على مقعد خلفـــي معـــتم بعد منتصف ليل رمضان، في حضور شاب أعـــرف أنه ينتظر أول شرارة لكي ينفجر في وجهي باسم الغيرة على حرمات الشهر المبارك. لابد أن ماريا لاحظت جلستي المتحفظة وحرصي على عدم تلامس ركبتينا.

- أعـــرف أن الصـــوت لا يطاق فعلاً، ولكننا سنحاول أن

نحتمله احتراماً لمشاعر السائق.
وهززت رأسي علامة التأثر والأسي.
- ماذا ؟
سألتني
- يبدو أنه فقد شخصاً عزيزاً، فقرر أن يغرق بأحزانه في هـذه الخطبة التي تتحدث عن الصبر كملاذ أخير عندما يختطف الموت أحباءنا.

الحقـيقة أن الخطـبة كانت تتحدث عن علامات يوم القيامة.

قـال الشـيخ أنـه لن تقوم الساعة حتى ينزل الروم في "دابق" - أشار إلى أنها منطقة حدودية بين سوريا وتركيا - فيقولوا للمسلمين: خلوا بيننا وبين أسرانا، أي يريدون أن يقـتلوا أسـراهم الذين أسلموا، فيقول المسلمون "لا" فـتقوم الحرب وتنتصر فيها راية الإسلام. أضاف الشيخ أن علمـاء الديـن يؤكـدون أن المقصود بالروم: أوربا وأمـريكا. اعتدت أن أسمع نبوءات دينية تتحدث عن فناء الـيهود على أيدي المسلمين، لكن هذه هي المرة الأولى التـي أرى فيها الغرب - على إطلاقه - يتم اقحامه على

هـذا النحو. يبدو أن الشيخ شعر أن كلامه في حاجة إلى مصـداقية أكثر، فشدد على أن هذه النبوءة وعد حق ورد فـي حديـث شـريف "صـحيح" للرسول "صلى الله عليه وسـلم"، واسـتطرد: ليست مصادفة إذن أن نرى أمريكا تضع سوريا الآن ضمن قائمة الدول التي ترعى الإرهاب، ويكـثف البنـتاجون تواجده العكسري في قاعدة أنجرليك التركية!

– آسفة.. حقاً آسفة

قالت ماريا بتأثر.

مرة أخرى تنجح أكاذيبي.

خرجنا من الحسين.

أصبح الكلام شبحاً يرفرف علينا بعباءته الهائلة.

لا توجد أعمدة إنارة على الجانبين، حيث تمتد مقابر الفقراء لتسد الأفق.

أصـبح صوت الشيخ أكثر رنيناً وجلاء. لاحت قلعة محمد علـى بأنوارها الشاحبة وسط الظلام المستتب. في النهار تضـوّى أبـراجها الفضـية تحت وهج الشمس، أما الآن فتبدو مثل فزّاعة بائسة لا تخشاها طيور الحقل.

- هل لازال أمامنا الكثير ؟

سـؤالها جعلنـي أنتـبه إلى أن هذا الطريق ربما لم يكن الاختـيار الأفضل، فنحن نسير بأقصى سرعة ومع ذلك لم تظهر بوادر المعادي بعد.

- لا تقلقي. أصبحنا على وشك الوصول.

- في أي المواقع نحن بالنسبة لخريطة القاهرة ؟

- لا تسـأليني أرجوك عن أي شئ يتعلق بالجغرافيا. لقد كانت هذه المادة عقدتي المزمنة وأنا طالب.

انتهى الوجه الأول من شريط الكاسيت.

حمـدت الله أن السـائق اكـتفى بهذا القدر من مهرجان الإيمـان الصـاخب ولم يقلب على الوجه الثاني. مد يده وأضاء المصباح الصغير في السقف. انتظرت لأعرف ماذا يريد أن يفعل بهذه الإضاءة.

لم يفعل شيئاً.

هل هي رسالة ؟

هـل يـريد أن يحذرني من الاستسلام لوساوس الشيطان والإقـدام علـى آيـة ملامسات محرمة ؟ بدأ يعدل للمرة الرابعة أو الخامسة المرآة الداخلية وعرفت السبب، يريد

أن تكون الركبة العارية تحت مرمى نظراته مباشرة. كنت علـــى وشـــك أن أطلب من ماريا أن تستر نفسها بحقيبة يدهـــا، لكننـــي تراجعـــت في اللحظة الأخيرة. لم أشأ أن أحملهـــا مـــالا طاقـــه لها به من هواجس شرقنا الأوسط السعيد.

- هذه هي بداية طريق الكورنيش.. لقد اقتربنا

قلت بنبرة من يزف بشرى وأنا أنظر عبر النافذة.

سمعت ماريا تطلق زفرة ارتياح..

موجه من الحنان غمرتني فجأة..

وددت لو أحتضنها..

أوشوش القمر والنجوم..

أن أهمـــس: هـــل كانـــت قطتي الصغيرة خائفة من الطريق المعتم المهجور أم من السائق المريب ؟

اللافـــتات الضـــوئية تتوالي لمطاعم ومحلات! كوفي شـــوب أندريا، فيش ماركت، جراند كافيه، مارنجو. أنوار البواخر العائمة تمرق على البعد مثل ومضات سريعة لنشوة عابرة..

صواري المراكب الشراعية الضخمة آلهة طيبة تغفو

قليلاً..

- انظري! هذا هو مبني المحكمة الدستورية العليا.

وأشــرت إلــى مبــنى كبير، لونه بيج، مصمم على الطراز الروماني بأعمدته المميزة.

شعرت بشئ من الفخر.

لــم تكــن هذه التحفة المعمارية مجرد ميراث شيده كالعــادة أجدادي الفراعنة، بل إنجاز حديث تخلى فيه الأحفاد عن عشقهم للكسل.

- لم تقل لي أن الطريق سيستغرق كل هذا الوقت.

قالت تعاتبني.

- اعتبري أننا وصلنا.

وبالفعل لم تمض سوى دقائق قليلة حتى لاحت لافتة "مرســى الــنهر لخــالد" ثــم اللافتة الضخمة لنادي الأشغال العسكرية.

- هنا لو سمحت.

قلت للسائق فداس الفرامل فجأة واهتزت السيارة.

لا أعــرف لمــاذا سألته كم يريد أجرة رغم أن هذه ليســت عادتي. طلب رقماً مبالغاً فيه بشكل أذهلني.

الانــتهازية والطمــع ســلوك أكــثر من طبيعي لدي ســائقي التاكســي في القاهرة، لكن الغريب أن هذا السائق لم يبرر ما يطلبه بواحدة من الحجج المعتادة مــثل غلاء البنزين أو زحام المرور أو تأخر الوقت. قــال الرقم في هدوء وثقة كأنه يقرر حقيقة كونية لا تقبل الجدل.

لم أجادله.

اكتفيــت بــتوديعه بــنظرة حــاقدة متخــيلاً مشاعر الانتصــار التــي لابد أنه يمتلئ بها الآن وهو يتركنا ليستدير عائداً من حيث أتى.

8

وجـدت الـبواب بصـحبة عـدد من عساكر "المراسلة" وسائقي الميري!

لمـاذا أنسـى دوماً أن عمارتي تقع ضمن مجموعة أبـراج معـروفة في المنطقة باسم "أبراج الشرطة" وأن المُـلاك تـتدرج رتـبهم من نقيب إلى لواء ؟ بعضـهم يسكن في شقته هنا، والبعض الآخر يسكن فـي المهندسين أو مدينة نصر ويترك شقة المعادي للإيجار.

الاستثناء الوحيد هو مالك شقتي.

محاسـب ورث الشـقة عن والده الذي توفى برتبة عقيد.

يوم توقيع عقد الإيجار في شقته بباب اللوق حذرني مـن استضـافة صديقات في الشقة: "أنا شخصياً لا أمـانع، ولكن المشكلة في رئيس اتحاد الملاك، لواء مـتقاعد لكن متدين جداً وحنبلي على الآخر، ومشغَّل البواب والعيال العساكر جواسيس لحسابه".

كنت أعرف أنه يبالغ قليلاً من أجل تخويفي. البواب أغرقته بكل أنواع الرشاوي حتى يترك البنات صديقاتي يصعدن دون مشاكل. العساكر لم يحدث منهم أي شئ سيئ حتى الآن. صحيح أن عيونهم وهم واقفون مع "جمعة" في الجراج تحولت إلى كاميرات ترصد بالتصوير البطئ شكل وخطوات "ماريا"، ولكن لم يكن هذا ما يقلقني.

- لابد أن أعتذر لأن الفوضى في شقتي لا تطاق، فهذه أول مرة استضيف فيها شخصاً من الجنس الناعم

قلت ونحن في الأسانسير

- أول مرة فعلاً ؟

وقالت عيناها أنها لم تصدقني.

أمام باب الشقة بحثت طويلاً – كالعادة – عن المفتاح اللعين الذي أنسى كل مرة أين وضعته وسط متاهة الجيوب الصغيرة والكبيرة الموزعة ما بين البنطلون والقميص والجاكت.

- تفضلي..

قلت وأنا أغلق الباب خلفنا.
تطلعــت ماريــا إلـــى الصالون الكبير الخاوي على عروشه إلا من طقم البامبو و ٣ أرفف صغيرة مثقلة بحمولة كتب.
البلاط عار تماماً من أي قطعة سجاد
الجدران تخلو من أي لوحات.
الانطــباع الأول الــذي يأتـــي عادة لضيوفي هو أن الشـــقة لازالـــت في مرحلة التجهيز وأنني لم أسكن فيها بشكل مستقر بعد.
ســـحبت لهـــا أحـــد الكراسي، فأشارت بعينيها نحو المكتبة وهي تخطو باتجاهها لتلقي نظرة.
"أوه! هذه صورتك!"
قالت وهي تمسك بكتابي الأول.
مجموعة قصص قصيرة.
على الغلاف الخلفي صورة فوتوغرافية لي.
أدهشـــتها فكرة أنني مؤلف أيضاً. وللمرة الأولى لا تـــتحفظ نظـــراتها فـــي التعبـــير عن إعجاب خاص.
اخـــتارت عشـــوائياً إحدى القصص وطلبت مني أن

أترجمها.

فاجأني الطلب.

القصة بعنوان "عشيقة الحاج معوض" وقلت باختصار أنها تحكي عن الحب الأكبر في حياة جدي الذي لم يذهب إلى مكة ولم يطف حول الكعبة، ومع ذلك حصل على لقب "حاج" لاعتبارات تتعلق بالسن واحترام الشيخوخة. وقع الرجل في غرام "غازية" من غوازي الغجر. هج وراءها في الغرب والكفور حيث كانت تحيى أفراح الفلاحين.

شهر كامل وهو يطاردها قبل أن يرده أولاد الحلال إلى عقله وامرأته ، حين مات الحاج معوض، اكتشف أهل القرية أن وشماً لصورة الغازية منقوش على جسده.

جاء شيخ المسجد وقال أن جدي لم يكن يصلي وأن صورة الزانية لو ظلت على جسده ستتحول إلى قطعة من نار جهنم يتقلب عليها وهو في القبر. وعلى مدار ساعتين، كانت الجثة محل أخذ ورد قبل أن يغسلوها ويرشوها بعطر رخيص ثم يحملوها في

الكفن إلى الجامع ومنه إلى القرافة ليستقر جدي في باطـن الأرض عاشـقاً هزمته مياه النار التي أزالوا بها صورة الحبيبة من على ساعده المفتول.

- غريب جداً..

قالت في همس

- يبدو أن العشق مرض قديم في سلالة العائلة

تابعتْ وهي تبتسم

- جدي كان عاشقاً حقيقياً

قلت بشرود.

- حسناً. أنا في انتظار أروع شاي في مصر!

- دقيقة واحدة

وانطلقتْ إلى المطبخ.

أشعلتْ البوتاجاز.

الأزرق الصـافي في نار الشعلة يغريني عادة بالتأمل وتطايـر الأفكـار، لكنـي هـذه المرة كنت مشغولاً بهـاجس واحد: شخص غاضب يدق فجأة الباب في عـنف وحيـن أفـتح يصرخ: ياناس.. يامسلمين.. تعـالوا شـوفوا! أو دقـات خفـيفة وشخص أكثر

دبلوماسية وتهذيباً يقول: سننهي كل شئ في هدوء!
عليك فقط أن تخرجها الآن فوراً!
مـــثل هـــذه الســـيناريوهات السوداء كانت تلح على ذهنـــي وتأكل مخيلتي وأنا أرى ذرات الشاي تتقافز مثل موجة بنية هائجة بعد أن وصل الماء في البراد إلى درجة الغليان.
نحن في رمضان
لم يبق على آذان الفجر الكثير.
بـــاب شـــقتي مغلـــق على مغامرة عاطفية مع فتاة أجنبـــية. اكتملـــت إذن عناصر الفضيحة. الآن يمكن لأي شخص – لا يصلي حتى – أن يعمل لي "هيصة وزمبلـــيطة" معتـــبراً أننـــي استفز المشاعر الدينية لسكان العمارة!
خرجـــتُ إلى ماريا أحمل كوب الشاي التاريخي على صـــينية تركـــي منقوشة بالطيور والورود هي الشئ الوحـــيد الـــذي يحمل لمسة خاصة في منزلي. أختي المتزوجة أهدتني الصينية حين عرفت أن المستأجر يستلم الشقة "ع البلاط" طبقاً لنظام الإيجار الجديد.

- فنانتي المدهشة!

ناديتها وأنا أقدم الشاي فلم تلتفت.

ظلت مستغرقة في الكتاب الجديد الذي تتصفحه.

كـــان يضـــم نمـــاذج ملونـة من الخط العربي لفنانين أتراك وإيرانيين.

شعرت فجأة بحركة حميمة بين فخذّي.

اندهشت، فأنا لم أفكر في أي شئ يستدعي ذلك، ولو على مستوى الخيال.

فتحتُ النافذة..

الهـــواء يضــــرب بعنف الأشجار الصغيرة عند مدخل العمارة المجاورة..

كانت عتمة الليل مهيمنة..

9

لم أعد أحتمل كل هذه الحرائق الصغيرة التي تشتعل تباعاً في جسدي.

تركــت شفتيها وهبطت سريعاً إلى منطقتي المفضلة: العنق.

تأوهاتهـا وهي مغمضة العينين خنجر من نور يقص شراييني.

اشــتهيت شعرها الناعم الأحمر اشتهاء شيخ صوفي لكعــب أنثى. ألعق خصلاته القصيرة وأدس أنفي فيه لاستنشق عطراً من الجنة،

أهبط بلساني إلى ما وراء الأذن.

هــنا فقــط بــدأت أنتبه إلى مصدر الألم الخفيف في كتفي. كانت تنشب أظافرها فيه.

بدا ذلك مثل حركة لا إرادية..

كلما انتشت أكثر غرست أظافرها أكثر..

اللــذة الســماوية الــنابعة من بطء اللمسات الأولى تنســيني مؤقــتاً هذا الشعور، العذب مرة والموجع

مـــرات. مددت أصابعي إلى أزرار معطفها، فأمسكت ماريا بيدي تمنعني.

التقـــت أعيننا للحظة بدت تاريخاً سرياً من المخاوف والأشواق.

أســـئلة كثيرة حائرة قرأتها في عيونها قبل أن أجيب بهزة خفيفة ومطمئنة من رأسي.

انحنيت على أصابعها أقبلها إصبعاً إصبعاً.

خلعتْ المعطف.

وضعته على الكرسي بحرص وغبنا طويلاً في حضن طويل.

- تمنيت هذا منذ أول لحظة رأيتكَ فيها

قالت بنبرة خافتة.

يغرم رجال برج الحمل - أمثالي - بسماع هذا النوع من الاعترافات.

ضغطة قوية وناعمة جاءت بمثابة ردي.

لابـــد أن وقـــتاً طويـــلاً قد مر لأنني بدأت أشعر بألم خفيف في قدمي. بصعوبة شديدة، انتزعت نفسي من دفء ملكتـــي الملائكـــية. مددت يدي أدعوها للرحلة

الخـــالدة فـــي اجتـــياز الممر الفاصل بين الصالون وغرف النوم.

لم تستجب.

- لا تكن متعجلاً!

كانت نبرتها ملونة ببحة شهوانية.

- لســت متعجلاً، ولكنني لن أطيق الوقوف أكثر من ذلك فأنا أعاني من "فلات فوت"

- حقاً ؟

- للأسف، ثم أنني أخشى عليك من البرد.

سحبتها من يدها إلى غرفة النوم. في الواقع، لايبدو هذا اسماً دقيقاً للحجرة فشقتي تحتوي على غرفتين بسريرين أتناوب عليهما بنفس القدر تقريباً.

غــرفة الــبلكونة يوجــد فيها مكتبي والأخرى فيها الدولاب، وباستثناء قطع الأثاث الأربع تلك، لا يوجد ســوى عــراء الــبلاط والجــدران وفوضى الكتب والمجــلات والجوارب وشرايط الكاسيت الملقاة هنا وهــناك. اتجهت بماريا نحو غرفة الدولاب التي بها أيضـــاً بلكونة صغيرة تطل على "المنور" وعلى حبل

غسيلها القصير أنشر ملابسي.

- انتظر!

قالــت وهــي تــنظر إلى الحجرة الأخرى ثم عادت ونظرت إلى غرفة الدولاب.

- أفضّل هذه

وأشارت إلى غرفة البلكونة.

استجبت لرغبتها رغم وجود سبب وجيه للاعتراض على اختيارها.

كنــت مطروحا علي ظهري وماريا تخمش بأظافرها وتعض بأسنانها مثل أي نمرة مستثارة.

خلعت عني البنطلون فأحدثت التوكة المعدنية للحزام الجلــدي العريض شخللة محببة، فيما ظلت هي بـــ "الأندروير"

"أرجو ألا تكون سادية تماماً"

دعوت السموات السبع والليل البهيم، فثمة إشراقات مــن المتعة الحسية تضئ وجهها في العتمة الخفيفة كلمــا ســمعتني أتأوه، وكانت في الواقع تعرف كيف تنوع أساليبها بحيث أشاركها التلذذ وأنفرد بالآهات.

"ترى ماذا سوف يحدث الآن" ؟

تســاءلت وأنــا أرقــبها مغمضة العينين تحتويه وتعضه خفــيفاً مثل شخص يتذوق بحذر نوعاً جديداً من الطعام. التقطت بمهارة طرف "الكلوت" بفمها وأنزلته قليلاً.. قليلاً ليتحرر فجأة عمود الأشواق الذي طال حبسه خلف سور مــن القمــاش القطنـــي الناعم. هكذا أدخلتني يد الله في الــتجربة: إمــا قطعة لحم مصرية باردة أو لبؤة أوربية متعطشة لدم الحبيب..

لا توجد منطقة وسطى..

أصــبح صــوت تنفسها ثقيلاً وهي تمسح خدها في رأسه..

تحاشيتها مبتعداً وأنا أرتدي الكلوت.

- ماذا حدث ؟

سألتني منزعجة.

- لابد أن نذهب للغرفة الأخرى

- لماذا ؟

- لأن البلكونة في هذه الغرفة من الزجاج كما ترين ويستطيع الجيران رؤيتنا بسهولة

قلت وأنا أشير إلى البلكونة في العمارة المقابلة.
بـــدا علـــى وجهها الانزعاج بسبب موقفي المفاجئ، لكـــن مـــا بالـــيد حيلة. فمن يدري، ربما خرج أحد الجـــيران ينشـــد نســـمة علـــيلة بعد تناول السحور خصوصاً أن البلكونة المقابلة لها "تندة" ومجهزة بـــ ٣ كراسي بلاستيك من أجل "قعدة" لطيفة.

- أوكيه

قالت وهي تخطو حافية القدمين باتجاه الممر.
أطفأتُ النور فاستتب الظلام أكثر في الغرفة.

- انتهت المشكلة

علقـــتْ وهي تجلس على ركبتي وتلعب في خصلات شعري.
سالت بين شفتي جداول مترعة بالحنان الشرس وأنا أبوسها كما لو كانت هذه آخر قبلاتي في الحياة.
وحيـــن مســـت أطراف أناملي الحلمة بشكل عفوي، انتفضت تلقائياً وهي تشهق.
لا أعرف كيف خلق الله ماريا بهذه الحساسية..
حملتها فجأة بين ذراعي فرنت ضحكتها العذبة وهي

تشبك أصابعها مثل الأطفال خلف رقبتي.

هــذا الجسد الذي تحلم به عارضات الأزياء لا يمكن أن يكــون قــد خلــق لشئ آخر غير ملاقاة الأمواج العنيفة التي تنطلق الآن من شواطئي.

- هل أنت مصمم ؟

سألتني باستسلام

- أكيد

جاوبت وأنا أذهب بها إلى فراش الغرفة الأخرى.

- هل هذه هي طريقتك.. الديكتاورية مع النساء ؟

- بالضبط

وضــعتها بــرفق علــى ظهرها، كما لو كانت تمثالاً صغيراً من الكريستال أخشى أن يتهشم.

قبلتها كثيراً في جفونها..

مر ما يقرب من ساعة

كنت زورقاً مطاطياً تتقاذفه الأمواج الهائجة في نهر هــادر عنيف.الصخور الحادة المدببة فخاخ تنتظرني بامــتداد الفضــاء الوردي للحلمة المنتصبة، وعمق تجويــف الســرة، والنعومة المستحيلة لبشرة القبة

الصغيرة البازغة.

ماريا كانت الربان الذي أنقذني مؤقتاً من الانشطار.

– بيانو! بيانو!

عرفت فيما بعد – بغزيرة الغرام وحدها – أن "بيانو" كلمة ذات أصل إيطالي تعني "البطء" وأن حبيبتي نست – في نشوة الحب – أن الإنجليزية فقط هي لغتنا الوسيطة.

كانت تناشدني عدم الاستعجال كلما هممت بالتهام قطتي العارية، فتهمس في أذني بالكلمة الإيطالية، التي انتقلت للإنجليزية بنفس النطق لحسن الحظ ولكن بمعنى الآلة الموسيقية الشهيرة.

بدا صوت الشاحنات أعنف ضجيجاً..

ينبثق على البعد ويتعالى رويداً.. رويداً.. حتى يبدو أن ثمة عربة ضخمة هائلة على وشك ابتلاع الشقة حالاً، ثم ينحسر الطوفان ويتلاشى الصوت تدريجياً مثل وداع حزين على رصيف الموانئ.. يظهر صوت جديد ثم سرعان ما يتلاشى هو الآخر وهكذا..

– دعنا نسترخي قليلاً

لــم أستطع تلبية دعوتها إلا دقائق معدودة استلقيت فيها على ظهري بينما كانت تحدق في ملامح وجهي بنظرة أم لا تصدق نفسها من الفرحة وقد رأت للمرة الأولــى ماء الرجولة في سروال ابنها البكر. تخرج مــن شــنطة يدهــا علــبة عصــير "جهينة"، تفاح بالزبادي، تلقي بجرعة من السائل اللزج الحلو على بطنــي فيمضــي بطيئاً، ثم تنحني بشفتيها تلعقه في تلذذ قبل أن يصل إلى تجويف السرة!

تمــر بأطراف أناملها على كثافة شعر حاجبيّ. تقبل بــرقة الشــعر الخفيف بينهما ثم تعود لتمر بأناملها علــى شــفتيّ وكأنهــا تعيد تحديد خطوطها. تطبق بشــفتيها علــيهما فــي التهام متأن معتمدة أسلوب "قضمة.. قضمة".

مستخدماً نفس الأسلوب أحك إبهام قدمي في موضع حــرارتها الأبدية. لم أعد أحتمل المزيد من الحرائق تــندلع تباعاً في عروقي وأنا أراها مغمضة العينين تتأوه وتكف عن التقبيل.

- لا.. هذا خطر!

قالت فجأة بنبرة مذعورة وأنا أستعد لكي أدسه عميقاً.

ولم يبد على وجهي أنني فهمت شيئاً، فيما تراجعت هي بجسدها.

- يجب أن تستخدم "كوندوم" أولاً!

وكنت متكئاً على مفصل الركبتين فجلست محبطاً إحباطاً لم يتسلل لحسن الحظ إلى السيف المشهر في وجه أنوثتها. أخيراً تذكرت معنى كوندوم: أنها تريدني أن أرتدي الواقي الذكري. هنا شعرت للمرة الأولى بضراوة الفرق بينها كامرأة أوربية وبيني كرجل ينتمي إلى العالم الثالث.

هي ابنة الاحتياطات والهواجس الصارمة في أشد لحظات الغرام اشتعالاً وأنا ابن التلقائية العاطفية.

ولمجرد كونها غربية يجب أن يعاملها الآخرون باعتبارها لديها "ضمانة صحية" ولمجرد كوني شرقي يجب أن يحذر الجميع مني طبياً.

- هل تريدنني فعلاً أن أرتدي كوندوم ؟

سألتُ وأنا أحاول السيطرة على غضبي.

- نعم
- ولكن لماذا ؟ هل تخشين من احتمال أن تؤدي الممارسة المباشرة إلى نقل أمراض لك ؟ حسناً، ولكنني أنا أيضاً أجازف وأنام مع فتاة لا أعرف عنها شيئاً.. وتذكري أن الأيدز - علي سبيل المثال - منتشر في أيطاليا انتشاراً لا يمكن مقارنته بمصر.
- أوه.. من فضلك!
- اسمعي! أنا لا أنام مع بنات ليل ولا أمارس الجنس عشوائياً.

قاطعتها بنبرة حاسمة وأنا أنحني على وجهها أمسح على خديها مطمئناً.

- لا تقلقي إذن.. فقط أغمضي عينيك وحاولي أن تشعري كم هي عميقة تلك الصلة الروحية التي جمعتنا.. إنها كلمة السماء!

وأطلقت ماريا صرختها الأولى...

10

حيـــن خرجتُ من الحمام والفوطة حول رقبتي كانـــت تقـــف أمـــام مرآة الدولاب ترتدي "أندر وير" أسود مخرم.

تصـــفف شـــعرها وتستخدم علبة مكياج صغيرة من الـــنوع المـــألوف أثـــناء السفر. كنت على وشك أن أحتضنها من الخلف، ولكني تراجعت عن الفكرة في آخـــر لحظـــة حيـــن شـــاهدت عبر الباب الزجاجي للـــبلكونة ســـيدة بديـــنة في العمارة المقابلة تهوّي البطاطيـــن فـــي الشـــمس وتختلس كلما تيسر نظره فضـــولية باتجاه هذه الخواجاية الجميلة التي لا تكاد تســـتر جسدها وهي في غرفة نوم شاب أصبح الحي كله يعرف أنه عازب.

قالت ماريا:

- أريد أن أخبرك بشيء ما..

- أرجو ألا يكون خبراً سيئاً

- أنه شيء غريب، بالأمس بعد أن انتهينا - ابتسمتْ في

خجل ثم عاودت القول - وبينما كنت تبحث عن الشبشب في العتمة الشديدة كي تذهب للحمام، رأيت فجأة الحائط يضئ بنقطة نور صغيرة لكن قوية جداً، كانت هذه النقطة تتحرك عبر الدولاب والباب كلما تحركت عيناك، كانت في الواقع تتبعك، ولم أصدق ما أرى، كانت عيناك هي مصدر هذه النقطة النورانية التي كانت تنعكس على كل شئ يواجهك، في البداية ظننت أنني أتوهم، لكنك حين عدت للغرفة تكرر نفس الشيء ولم تختف هذه النقطة إلا في اللحظة التي أغمضت فيها جفونك

حل صمت كثيف بيننا..

- ألم تشعر بذلك، أليس لديك تعليق، ألا تصدقني؟

لم أعرف بماذا أرد

- يجب أن نتحرك سريعاً

قالت وهي محبطة

- متى ستقلع طائرتك ؟

- في الثالثة، لازال هناك أربع ساعات، ولكني سأذهب للمهندسين أولاً لتجهيز أشيائي وتوديع صديقتي قبل

أن أستقل تاكسي إلى المطار.

لـم يكـن الأبـيض الحليبي الموردّ هو لون بشرتها كما توقعـت، وإنمـا درجـة لـم أر لها مثيلاً في حياتي من درجـات الأصفر، لون لا تُحتمل جاذبيته تبدى لي واضحاً الآن في نور الصباح.

في التاكسي بدا كما لو كنا في نزهة خاصة..

طقس رائع..

الشمس وحركة الهواء مضبوطان على درجة غرامنا..

المقعد الخلفي واسع.

السائق صامت وحضوره - على غير العادة - مريح..

- تهنئتي!

قالـت ماريا وهي تتطلع إليّ عبر نظارتها السوداء التي تخفي عينيها تماماً.

- أنت تهنئينني.. علام ؟

- علـى نجـاحك المذهـل، لا أعرف كيف جعلتني أسمح لنفسـي بـان يحدث بالأمس ما حدث، أنا أستعيد الآن التفاصيل ولا أكاد أصدق نفسي!

كانـت الشمس تفرش الأسفلت الخاوي أمامنا برداء من

المـــودة، وروائـــح أشـــجار موالـــح تنبعث من مكان ما وتحملها إلينا نسمات قوية.

لذنا بالصمت نحن الاثنان..

هي قالت ما لديها وأنا لا أعرف بماذا أرد.....

محمد بركة

- مواليد ١٩٧٢
- حاصل على دبلومة خاصة في الأدب الإنجليزي
- يعمل كاتباً صحفياً بمؤسسة الأهرام

E-mail : barakawi@hotmail.com

صدر له :

- كوميديا الانسجام – مركز الحضارة العربية "القاهرة" ١٩٩٨
- ٣ مخبرين وعاشق – دار ميريت "القاهرة" ٢٠٠٢

قالوا عن المؤلف :

"كاتب ينتقل بنا من حضارة الكلمة إلى حضارة الصورة"

د. عبدالمنعم تليمة

"تشكل قصصه عالماً له فرادته وتشف عن روح الإبداع في الألفية الثالثة"

أدوار الخراط

"يكتب اللقطة السريعة المكثفة التي تضحكك وبعد الضحك لا تكف عن التأمل والتساؤل"

صافي ناز كاظم

"يتناول أشباه المقدسات بحس فكاهي وقد كبير من الحرية"

إبراهيم عبدالمجيد

"يكتب وكأنه يرسم وعيون الطفل هي أداته"

أدب ونقد

"يحتفي بالحسي في إطار السخرية الشفيفة عبر بناء شديد التميز"

(الحياة) اللندنية

إصدارات



اسم الكتاب	المؤلف
ونس	محمد الحسيني
عباد الضل	محمد الحسيني
صندوق الحزن	محمد الحسيني
غرفة السر	محمد الحسيني
مس الكلام	محمد الحسيني
طفل الفجر	جوتاما شوبرا (ترجمة / ظبية خميس)
لينا والبرتقال	سليمان نزال
صاحب القلنسوة	حياة الحضرى
دراما اللوحة	أ. د. / مصطفى يحيى
رائحة المطر	منى سعيد
روح الشاعرة	ظبية خميس
الفضيحة الإيطالية	محمد بركة